# مقاصد الحج

خطبة الجمعة ١٤٣٥/١٢/٢.

د. عبد الله المعيدي

جامعة حائل

وعضو التوعية في الحج

@almoaede

أمّا بعد: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر:١٨]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ .

أيّها المسلمون، في هذه الأيّام المباركة تستقبِل مكّةُ وفودَ الحجيج، ويحتضِن المسجد الحرام ضيوفَ الرحمن في مواكبَ مهيبة تجلِّلهم عناية الله، جاؤوا من كلِّ فجٍّ عميق يلبّون نداءَ ربهم ويجيبونَ أذانَ خليله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ . جاء الحجّاج يحثّونَ المطايا، يسابِقهم الشوق، ويحدوهم الأمل، يغمرُهم الفرحُ وهم في مسيرِهم إلى بيت الله المعظَّم، طامعين في تكفيرِ الخطايا وبلوغِ الجنان، يؤدّون الركنَ الخامس من أركانِ دينهم في أقدسِ بُقعةٍ على وجه الأرض.

مكّةُ المكرَّمة تاريخٌ وذكريات سيرةٌ ومسيرة، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ۞فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ إليه حجَّ الأنبياء وصلّى إمامُ الحنفاء، مِن مكّة شعّ نورُ الهدى، وانطلَقَت رسالة التوحيدِ حتى عمَّت أرجاءَ الأرض، وغيّرتِ العالم، وأرسَت أجملَ وأعدلَ حضارة عرَفها التاريخ، فهي مركَز العالم ورَمز وحدةِ المسلمين ومَصدَر النور للعالمين، أفضلُ البِقاع عند الله، وأحبُّ البلاد إلى رسول الله صلّى وسلّم عليه الله. مكّةُ المكرّمة أمّ القرى، بها ميلادُ أشرف الورى، على رُباها نشأ وترعرع، وفي أرجائِها مشى وما تضَعضَع، نصفُ قرنٍ من الزمان شهِدَت حياةَ النبيّ ﷺ في مكّةَ، فأيّ شرفٍ يعلو هذا الشرف؟! ولو نَطقَت هذه الرُّبى فأيَّ سيرةٍ ستذكر؟! وأيَّ تاريخٍ ستسرد؟!

في هذه البقاعِ نزل جبريل عليه السلام بالوحي، وصدَع النبي ﷺبالتوحيد من جبلِ الصّفا. لو حدَّثتكم الكعبةُ أو حكى زَمزم والمقام لقالوا: كان هنا أبو بكر وعمر، وكان عثمان وعليّ، وغيرهم من الصَّحب الكرام رضوان الله عليهم أجمعين. أضاؤوا الدنيَا، وطهّروا الأرضَ، واعترَك التوحيد مع الوثنيّة حتى أظهرَ الله الدّين.

هنا وقف النبيّ ﷺأمامَ الكعبةِ ليقرّرَ مبادئ الدّين العظمى، ويرسُم نهجَ الإنسانية الأرقى، والذي عجزَت عن تحقيقِه كلُّ حضارات البشَر إلى يومنا هذا.

هذا هو تاريخنا ايها المسلمون وهذه هي حضارتنا .. يجب علينا أن تعتز به .. وأن نرفع رؤوسنا بهذا التاريخ .. وعلينا أن نتمسك بهذا التاريخ وندعوا إليه وننشره في العالم .. وقبل ذلك كله أن نتمسك ونثبت على مبادئ هذا الدين ..

أيّها المسلمون، إنَّ قصدَ هذه البقاع الطاهرةِ يكفّر الذنوبَ ويمحو الآثامَ ويحطّ الأوزارَ، بل ليس للحجِّ المبرور جزاءٌ إلا الجنة، قول نبيكم ﷺ.

كم اشتاقت لبَطحاءِ مكّةَ النفوس وهفت لرُباها القلوب، وكم مِن باكٍ شوقًا وتوقًا، وكم من متحسرٍّ يتمنَّى رؤيةَ وادي محسِّر، يتمنّى المبيتَ ليلة بمِنى أو الوقوف ساعةً بعرفة أو المشاركةَ في ليلةِ مزدلفة أو المزاحمةَ عند الجمرات أو الطواف بالبيت وسَكب العبرات، يتمنّى هذه المواطنَ حيث تسيل العَبرَات وتنزل الرحمات وتُقال العثرات وتُستجَاب الدعوات، سقَى الله تلك الرّبى والبِطاح.

عباد الله: ولا زالتِ المواكب تتدفّق بالحَجيج مِن كلّ فجٍّ عميق، ما أجملَ أصوات التلبيةِ تعُجّ بها الطائراتُ في الأجواء، والمواخِر في عُباب البحار، والمراكِب التي تلتهِمُ الطريقَ وتغُذّ السيرَ آمّين البيت الحرام، لبّيكَ اللّهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. وجهةٌ واحدة، وهدَف واحِد، كلُّهم مستجيبون، ثمّ في حرَمِ الله يلتقون. إنها قوافِلُ الإيمان ورِحلةُ الحياة إلى مَهوَى الأفئِدَة ورمزِ الإسلام وقِبلة المسلمين.

الخطبة الثانية:

عبادَ الله، حجّاجَ بيته الحرام، إنّ منزلةَ الحجّ عند الله عظيمة، ومكانتَه في الدين كبيرة، أوجبَه الله بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾.

عبادَ الله، إنّ منزلةَ الحجّ عند الله عظيمة، ومكانتَه في الدين كبيرة، أوجبَه الله بقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ الْعَالَمِينَ﴾.

أمّا فضلُه فقد روى أبو هريرةَ رضي الله عنه أنّ النبيَّ ﷺ قال: ((العمرةُ إلى العمرة كفّارةٌ لما بينهما، والحجّ المبرور ليس له جَزاءٌ إلا الجنّة)) رواه البخاريّ ومسلم، وفي الصحيحين أيضًا أنَّ النبيَّ ﷺ سئل: أيّ الأعمال أفضل؟ قال: ((إيمان بالله عزّ وجلّ))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((جهادٌ في سبيل الله))، قيل: ثم ماذا؟ قال: ((الحجّ المبرور)).

إنّه تجارةُ الدّنيا والآخرة وربح الدّارين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قالَ رسول الله ﷺ: ((تابِعوا بين الحجّ والعمرةِ؛ فإنهما ينفِيان الفقرَ والذنوب كما ينفي الكير خبَثَ الحديد)) رواه أحمد والترمذي بسند صحيح، وفي الصحيحين أنّ النبيَّ ﷺ قال: ((من حجَّ هذا البيتَ فلم يرفث ولم يفسُق رجع كما ولدَته أمه)) أي: نقِيًّا من الذنوب والخطايا، هذا معَ مُضاعفة الحسناتِ ورِفعة الدرجات، عن جابرٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال وهو بالمدينة: ((صلاةٌ في مسجدي هذا أفضلُ من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجدَ الحرام، وصلاةٌ في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة)) رواه أحمد والبخاري في التاريخ بسند صحيح، أي: صلاة أربعٍ وخمسين سنة، فهل يُلام في هَوَى الحرَمِ بعد ذاك أحد؟! ناهيك عن مواقفِ الرّحمة في عرفات، والازدلافِ عند المشعر الحرام، والتقلّب في فجاج مِنى، والطوافِ بالبيتِ وبين الصفا والمروة، ورمي الجمرات، وكلُّ ذلك من مواطنِ الرّحمة وإجابة الدعاء.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ، لقد شرع الحج وأوجبه على عباده لحكم عظيمة ، ومقاصد كبيرة ..

وإن من أعظم الحِكَم والمقاصد لهذا النُسُك العظيم، هو توحيد الله جلّ وعلا .. التوحد الذي بُني البيتُ العتيق من أجلِه وجُعل قصدُ الناس إليه من أرجاءِ المعمورة لإذكاءِ شعيرةِ توحيد العبادةِ وخلوصها لله سبحانه لا شريكَ له، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

إنّ التوحيد الخالصَ هو عماد خلافةِ الإنسان في الأرض، وهو أفضلُ ما يُطلب وأجلُّ ما يُرغب وأشرفُ ما يُنسَب، لا يُشيَّد الملك العتيدُ إلا على دعائم التوحيد، ولا يزول ويتلاشى إلى على طواسمه، ما عزّت دولةُ الإسلام إلا بانتشاره، ولا ذلّت واستكانت إلا باندثاره.

إنّه التوحيد الخالصُ الذي يأرِز بالناس إلى برّ الأمان والوقايةِ من زوابع الشرك بالله في ألوهيته وربوبيته والإلحاد في أسمائه وصفاته. إنّه توحيدٌ يعلِّق الرجاء بالله والخوف منه والاستعانةَ والاستغاثة به وأن لا يُحكم في الأرض إلا بما شرع الله سبحانه. إنّه التوحيدُ الذي يغمر قلوبَ المسلمين باليقين الخالص، والذي شُرع الحج لأجله حيث يقول الباري سبحانه: ﴿حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَاء فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾.

أيّها المؤمنون، ومن مقاصد الحج العظيمة، تعظيم شعائِرَ الله، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

ومِن تعظيم الشعائِرِ إحسانُ العمل وإتمامه والحِرص على كماله واتباع هدي النبيِّ ﷺ في كلِّ صغيرةٍ وكَبيرة، وقد قال: ((خذوا عني مناسككم)). كما أنَّ تتبُّع الرّخَص والتهاونَ في المناسك خُذلان ونَقص، والله تعالى يقول: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾.

كما أنَّ من تعظيمِ شعائر الله البعدَ عمّا ينقِص الحجَّ واحتِرام وتوقيرَ الزّمان والمكانِ الذي عظّمه الحقُّ سبحانه. تجنُّبِ المراءَ والجدل والخِصام والتشويش، فالقَبول والمغفِرة مشروطة بذلك، قالَ الله عزّ وجلّ: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾، وقد سبَق قولُ النبيِّ ﷺالمخرَّج في الصحيحين: ((من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه)).

إنَّ زكاءَ النفس وزيادةَ الإيمان وحصولَ التقوى يكون حينَ يقبِل المسلم على عبادَتِه بأدبٍ وخشوع، ويتفرّغ لما جاءَ له وما قصدَه، حافظًا وقتَه مخلِصًا لربه. كما ينبغِي السؤال عن الأحكامِ الشرعيّة قبل الشروعِ في العمل، فكم من حاجٍّ يعبد اللهَ على جهل، لا يتعلّم ولا يسأل، وكم من مُستفتٍ لو سَأَل قبلَ العمل لم يقَع في الحرج. وعلى القائمين على الحجّاج مسؤولية عظيمة، فليتّقوا الله، وكلّ راعٍ مسؤول عن رعيّته.

ومن مقاصد الحج .. ذكر الله .. وفي الحديث " إنما الحج العج والثج " ..

فالحجّ تلبية وتكبير وذكرٌ لله ودعاءٌ وتضرّع، فالرابح من تضرّع لربّه وناجاه، وخضَع وتذلّل لمولاه دون أن يضيعَ وقته فيما لا يَنفع.

ولقد كان للنبيِّ ﷺمواطنُ يكثر فيها من الدعاء، حريٌّ بالمسلم الحرصُ عليها. منها يومُ عرفة، وبالأخصّ آخر النهار، وبعدَ صلاة الفجر بمزدلفة حتى يُسفِر جدًّا، وبعدَ رميِ الجمرة الأولى وبعد رمي الجمرة الثانية من أيام التشريق، وكذا الدعاء فوق الصفا والمروة.

فالله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

ولمكانة الدعاء وعظيم منزلته، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من دعائه الله سبحانه في مواطن عدة ..

في يوم عرفة، وفي الطواف، والسعي، وعند رمي الجمرات، وفي منى، وفي كل أيام الحج المباركة.

إن الدعاء هو العبادة..

فأحرص أيها الحاج على كثرة ذكر الله ودعائه خاصة يوم عرفة، ويوم الحج الاكبر ...

نسأل الله لنا ولكم القبول والإخلاص ..